

## هل ينقذ «تزاوج» نهر الكونغو ونهر النيل مصر

### الاستثمار الجيد في العلاقة مع كينشاسا يفيد القاهرة في خلق توازن قوى

تزداد مشكلة مصر مع المياه تأزما بينما تتحول التحذيرات من حالة العطش التي تنتظرها إلى حقائق تتجسد يوما بعد يوم وتندرج بكارثة شاملة: طبيعية وبيئية واقتصادية وسياسية واجتماعية، باتت تهدد هبة النيل، طالما تعطى أولوية الاهتمام لمشاكل راهنة على حساب هذه القضية القومية المصرية، في الوقت الذي تشهد فيه دول حوض النيل تغييرات سياسية وصناعية وتنموية كبرى بشكل يغير المعادلات، وبالتالي ميزان القوى في التفاوض والاتفاقيات.

تزداد مشكلة مصر مع المياه تأزما بينما تتحول التحذيرات من حالة العطش التي تنتظرها إلى حقائق تتجسد يوما بعد يوم وتندرج بكارثة شاملة: طبيعية وبيئية واقتصادية وسياسية واجتماعية، باتت تهدد هبة النيل، طالما تعطى أولوية الاهتمام لمشاكل راهنة على حساب هذه القضية القومية المصرية، في الوقت الذي تشهد فيه دول حوض النيل تغييرات سياسية وصناعية وتنموية كبرى بشكل يغير المعادلات، وبالتالي ميزان القوى في التفاوض والاتفاقيات.

**محمد طعيمة**  
كاتب مصري

القاهرة - قبل اكتشاف منابعهما،

اعتقد قطاع وارن من الجغرافيين وعلماء العمران، عبر التاريخ، أن نهر الكونغو هو فرع من فروع النيل. وحتى تكاد استقلالهما بحوض جغرافيا منفصلين، طرحت سيناريوهات "تزويجهما".

تتلور من هذه السيناريوهات، نسبيا، مشروعان؛ الأول عبر النيل الأبيض إلى جنوب السودان، والثاني عبر بحيرة تشاد إلى مثلث العيونات جنوب غرب مصر.

يعتبر نهر الكونغو ثاني أطول أنهار أفريقيا، بعد النيل، وأوسعها حوضا، وهو أعمق أنهار العالم، وثانيها غزارة، بعد الأمازون، والكونغو الديمقراطية، بها نصف مياه القارة، حيث يتدفق نهرها بعنفوان 40 ألف متر مكعب في الثانية، وتغذي مجراه الواسع شبكة روافد، وتتدفق مياها داخل المحيط الأطلسي إلى عمق 30 كيلومترا، لا "يُهر" فيه سنويا ألف مليار متر مكعب، وتتشارك في حوضه تسع دول، أربع منها "تليبة".

فكرة المشروع الأقدم، اقترحها أبانا باشا، كبير مهندسي الري المصريين بالسودان، عام 1902. وقد كلف أبانا نظيره البريطاني وليام جارستين، بدراستها، فأعد تقريرا مفصلا عام 1904، ما زال مرجعا أساسيا لحوضي النيل والكونغو. ومحور الفكرة، ببساطة، "عكس" اتجاه ثامن نهر نحو النيل شرقا غربا، عبر إلى الأصلي باتجاه الأطلسي غربا، عبر ربط الكونغو بالنيل الأبيض، في جنوب السودان، بقيادة اصطناعية.

تجدد طرح الفكرة مرات عدة، وفي الستينات تاجلت مناقشتها أمام أولوية السد العالي، لأن الظروف الجيوسياسية لم تكن ملائمة. وفي السبعينات، تقدمت القاهرة خطوط باريسا لبريق يقوده إبراهيم مصطفى كامل، الخبير الهندي في مياه النيل، وإبراهيم حميدة، الرئيس السابق لمركز بحوث الصحراء والمياه، لمعالجة الطبيعة الجغرافية للنهر، ومدى صلاحية الفكرة. وتم إعداد تقرير إيجابي، بعدها، لجا أنور السادات إلى شركة "آرثر دي ليل" بواشنطن، المتخصصة في الدراسات الاستراتيجية، والمعتمدة كمكتب استشاري للبيت الأبيض. فنصحت دراستها، عام 1980، بتفنيذ المشروع، لأنه:

- يوفر لمصر 95 مليار متر مكعب من المياه سنويا، وزراعة 80 مليون فدان، وتزداد كميات المياه خلال 10 سنوات لتبلغ 112 مليارا، تسمح بزراعة نصف الصحراء الغربية.
- يوفر للدول الثلاث (الأربع الآن- مصر والسودان وجنوب السودان) السودان والكونغو، طاقة كهربائية

تجاوزها في الطرح "المعدل". سيناريو تشاد طرحه لأول مرة مهندس إيطالي عام 1935. تقوم فكرته على ربط رافد أوبانجي، الكونغولي، عبر جمهورية أفريقيا الوسطى لمسافة 1600 كم، بنهر شاري الذي يصب في بحيرة تشاد، ومنها إلى النيل عبر مثلث العيونات، حيث فرع مندثر منه بالصحراء الغربية.

تجدد الطرح "جزئيا" في الستينات، كمشروع تنموي لعشرات الملايين ب2 دولة في أفريقيا الوسطى والساحل، من بينها ليبيا والجزائر، واستبعدت منه فكرة المد للنيل. ومع مؤشرات جفاف البحيرة، ما يهدد مصدر رزق وحياة مئات الملايين، كمر المهندس النيجري، ج. أومولا، عام 1982، وشركة "يونيفيكا" لاستصلاح الأراضي الإيطالية، الطرح الجزئي، مع تصميمات فنية له.

وفي عام 1994، اقترحت لجنة حوض البحيرة مشروعا مشابها، وانعقدت قمة لرؤساء دول حوضها في مارس 2008، برعاية اليونيسكو، أقر خلالها المشروع. وعرف المشروع باسم قناة ترانسكوفا. وعام 2017 دخلت مجموعة "ياور كونسركشن" الصينية، المتخصصة في البنية التحتية لمشروعات الطاقة، متبينة المشروع، ورصدت 14 مليار دولار كتكلفة أولية، لكن المشروع رفض من قبل المعارضة الكونغولية. وقال، مويست مونينجا، عضو مجلس الشيوخ، "إن نحل مشكلة تشاد على حساب نظامنا البيئي".

الوضع مختلف مع القاهرة، فقد حصل طارحو مشروعا على موافقة كينشاسا، وأربع دول أخرى. ومصر يمكنها التدخل لتغيير رفض المشروع المتشدد الموازي، كبدل، مع إعادته إلى طرحة الأول الممتد حتى مثلث العيونات، وتطويره ليصبح تنمويا مشتركا.

القاهرة ترأها الإيجابي في الكونغو، التي لم تنس دعم جمال عبدالناصر لنضال رمزها التاريخي، باتريس لومبا، وإرساله قوات مصرية لحماية الدولة الوليدة، بقيادة سعد الدين الشاذلي، الأهم أن طرحها محور "شراكة تنموية" تحدث للكونغو طفرة نوعية، بالتوازي مع ما تنهده من تحول سياسي، عبر نقل سلمي نادر للسلطة في القارة السمراء، من الرئيس السابق جوزيف كابيلا، إلى المعارض فيليكس تشيسكيدي، في نهاية يناير الماضي، مع غالبية ل حزب الأول في البرلمان والحكومة، وهو ما رآته لبلى مرزوقي، ممثلة الأمم المتحدة في الكونغو، أمام مجلس الأمن الدولي مؤشرا إيجابيا على "إصلاحات جريئة تعزز المؤسسات وتحسن الظروف المعيشية للكونغوليين".

تستتبع المشروعات التاريخية تحديات وتكلفة توازنها، تستحقها إذا ما درست احتراميا. فقط، تحتاج القاهرة إلى رجل دولة يجمع وعيه لإنقاذها من أن تصبح "مومياة سياسية"، كما حذر جمال حمدان؛ إذا ما حرمت من النيل، وبين يدها الفاري لتسترد مكانتها كرمز أفريقي.. هذه المرة في التقدم، بعد أن كانت أيقونة للتخلف.

تجدد الطرح "جزئيا" في الستينات، كمشروع تنموي لعشرات الملايين ب2 دولة في أفريقيا الوسطى والساحل، من بينها ليبيا والجزائر، واستبعدت منه فكرة المد للنيل. ومع مؤشرات جفاف البحيرة، ما يهدد مصدر رزق وحياة مئات الملايين، كمر المهندس النيجري، ج. أومولا، عام 1982، وشركة "يونيفيكا" لاستصلاح الأراضي الإيطالية، الطرح الجزئي، مع تصميمات فنية له.

**للقاهرة تراثها الإيجابي في الكونغو، التي لم تنس دعم جمال عبدالناصر لنضال رمزها التاريخي، باتريس لومبا**

وقعت وزيرة التعاون الدولي السابقة، فائزة أبو النجا، سلسلة من الاتفاقيات، منها منحة بـ10.5 مليون دولار، لتأهيل كوادر من الكونغو بمرکز تدريب الري الإقليمي في القاهرة، وحفر 30 بئرا توفر مياها الشرب وري الزراعات البسيطة، في 30 تجمعا بشريا.

في يونيو من نفس العام، رعت أبو النجا استثمارا مصرية خاصا، ضخما، في الكونغو، وهو شركة قابضة باسم "ساركو"، نالت امتياز تشييد شبكة طرقات برية وسكك حديد بطول 1280 كم، تعبر 22 رافدا للنهر، وإنشاء مجموعة مطارات، وشركة طيران "إفرازا إير لاين"، وامتياز مناجم ذهب ونحاس والماس، وشركة تنقيب عن البترول، ومصنع ضخخ للإسمنت، ومجمعات علاجية، وشبكة محمول. ولغيا بنية الدولة عن كينشاسا، استعانت الشركة بهيئات مصرية. وأعدت 295 خارطة توفر معلومات كاملة عن الكونغو. أثناء العمل، لاحظ عبدالعال حسن عطية، نائب رئيس الثروة المعدنية المصري، تقاربا بين أفرع النهريين داخل الأراضي الكونغولية، كان حسن متابعيا لفكرة الربط، فتجددت، مع تحويل المشروع من "ربط" إلى "نقل" عبر 4 أفاعات مياه عملاقة متتابعة،

تجدد الطرح "جزئيا" في الستينات، كمشروع تنموي لعشرات الملايين ب2 دولة في أفريقيا الوسطى والساحل، من بينها ليبيا والجزائر، واستبعدت منه فكرة المد للنيل. ومع مؤشرات جفاف البحيرة، ما يهدد مصدر رزق وحياة مئات الملايين، كمر المهندس النيجري، ج. أومولا، عام 1982، وشركة "يونيفيكا" لاستصلاح الأراضي الإيطالية، الطرح الجزئي، مع تصميمات فنية له.

تجدد الطرح "جزئيا" في الستينات، كمشروع تنموي لعشرات الملايين ب2 دولة في أفريقيا الوسطى والساحل، من بينها ليبيا والجزائر، واستبعدت منه فكرة المد للنيل. ومع مؤشرات جفاف البحيرة، ما يهدد مصدر رزق وحياة مئات الملايين، كمر المهندس النيجري، ج. أومولا، عام 1982، وشركة "يونيفيكا" لاستصلاح الأراضي الإيطالية، الطرح الجزئي، مع تصميمات فنية له.

## من ولسون إلى ستالين وترامب: الأكراد خاسرون دوما في لعبة الأمم



**ألم مضاعف.. الحرب وخيانة الحليف**

بين تركيا والأكراد ما هو إلا ذر للرماد في العيون خاصة بعد تصريح غريب عجيب لترامب أخذ فيه، تهكما أو جدبا، على الأكراد عدم مشاركتهم في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الأميركيين وخاصة في إنزال النورماندي بفرنسا.

والأهم في هذا الإطار لا تنحصر المشكلة في نهج ترامب وأساليبه والتواءاته مع الأكراد وغيرهم من الحلفاء من أوروبا إلى الشرق الأوسط، إنما يتعدى ذلك إلى تنازل سلطه باراك أوباما السياسي والأخلاقي في المسألة السورية منذ 2012 - 2013 وهذا ما يتم حصاه اليوم، بالطبع لا يعني ذلك تقريبا من مسؤولية ما يسمى باقي المجتمع الدولي إزاء المسألة السورية، وخاصة روسيا مع الفيتو المتكرر في مجلس الأمن الدولي الذي منع إقامة منطقة آمنة في الشمال السوري مما سمح بتفاقم الوضع.

ولعبت موسكو دور ناظر التقاطعات في إدارة النزاع ومن هنا يمثل الضوء البرتقالي الذي منحه ترامب ويوتن بمثابة إجازة المرور لعملية أردوغان والوطنية النجلاء في ظهر الأكراد.

**التاريخ يكرر نفسه**

تذكر الوقائع الحالية بمراحل سابقة خاصة في أعقاب الحرب العالمية الأولى وسقوط الإمبراطورية العثمانية، إذ أنه بالرغم من رفع الرئيس الأميركي حينها توماس وودرو ولسون شعار حق تقرير المصير للشعوب ومن ضمنهم الأكراد ووعدهم بعودة دولة خاصة بهم، لكن خلفاه تغاضوا عن ذلك علما بأن الأكراد هم من بين القوميات أو الجماعات اللغوية الكبرى التي لا تزال من دون دولة تجمعهم على مستوى العالم، خاصة أنهم الأكبر من حيث تعداد السكان.

والأكراد منتشرون ما بين تركيا، وسوريا، والعراق، وإيران، وأذربيجان، وأرمينيا، وجورجيا منذ أزمنة بعيدة. وما حصل مع رئيس أميركي شهير عاد وحصل مع رئيس سوفيتي شهير بعد الحرب العالمية الثانية حينما تخلى جوزيف ستالين عن "دولة مهايات" مقابل حصة كبرى من النفط الإيراني.

خلال الحرب الباردة السابقة وفي سياق الصراعات الإقليمية عاد العامل الكردي إلى الميدان في السبعينات وكان الأكراد في العراق المحور لهذه "البقعة" التي سرعان ما تخلى عنها السوفييت بـ"تحريض" ترامب نظيره الأوكراني في مكالمة هاتفية على التحقيق مع الأكراد الذي رفضه الحزبان الجمهوري والديمقراطي من خلال ممثلهما في مجلسي النواب والشيوخ.

وشمل الرفض إعطاء ترامب أمرا يقضي بسحب القوات العسكرية الأميركية من شمال شرق سوريا أو من بعضها تسهلا للعملية التركية. وذلك في تنفيذ لقرار كان اتخذه في ديسمبر 2018 واضطر إلى إجراء تنفيذ لرفض "الدولة العميقة" له مثل الحزبين المذكورين. وكل ذلك يدل على أن عرض ترامب الوساطة

عندما أعلن الرئيس الأميركي دونالد ترامب بدء انسحاب الجنود الأميركيين في شمال سوريا، بما اعتبر ضوئا أخضر لتركيا التي كانت تحشد لعملية عسكرية في المنطقة، نال الأكراد الذين أعلنوا عن تفاجتهم وغضبهم من قرار الحليف الأميركي، الذي يعني التخلي عنهم، نصيبا من النقد باعتبار أنهم لم يتعظوا من تجارب الماضي، حيث كانوا دائما الطرف الخاسر في لعبة الأمم.

حول شرق الفرات ومطلب "المنطقة الآمنة"، استراتيجية تركية لتوسيع النفوذ نحو شمال سوريا (كما شمال العراق في محاكاة للنفوذ التاريخي في ولايتي حلب والموصل أيام العثمانيين) والمشاركة الأكثر فعالية في تقرير مصير سوريا. أما الهاجس من الشريط الكردي الملامق للحدود وإعادة اللاجئين السوريين فيمئلا تبرا مقبولا عند الرأي العام التركي الذي أراد "السلطان الجديد" أردوغان إعادة شحنه بالشعور القومي بعد فشله في انتخابات إسطنبول والأزمة التي عصفت بحزب العدالة والتنمية.

وبالفعل كانت "المنحة السورية" الرفاعة التي أتاحت لرجب طيب أردوغان تدعيم وضعه الداخلي وقيادة سياسة خارجية تمثلت باستدارة نحو روسيا من دون التخلي عن الانتماء الأطلسي والصلوات مع أوروبا. ولهذا تأتي ما تسمى بعملية "بيع السلام" في سياق بارز السياسات الدولية وتدعيم موقع تركيا في ميزان القوى الإقليمي.

وتمثل عدم الرغبة في خسارة تركيا، التي تزداد فيها النزعة الشرقية والأورو-آسيوية، التفسير الواقعي لموقف واشنطن العملي في التخلي عن الورقة الكردية، وذلك بالإضافة إلى العامل الداخلي حيث يتركز هم ترامب على تلبية وعوده الانتخابية بالانسحاب من الحرب التي لا نهاية لها كما سماها.

وتوجد في الخلفية عدم وجود سياسة أميركية خارجية متماسكة في زمن ترامب والتوجه إلى نقص الاهتمام بالشرق الأوسط.

وما هنا لا يعد الكلام الترامبي عن "الخطأ التاريخي بخصوص الانخراط في حروب الشرق الأوسط" نكسا للفعل الندامة من القوة العظمى أو وجهة نظر شخصية، بل تعبيرا عن إمكانية غلبة توجه الانكفاء الانعزالي في السياسة الخارجية الأميركية وبدء صفحة جديدة في العلاقات الدولية.

**خطار أبودبا**  
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للدراسات والبحوث

يسلط قرار الرئيس الأميركي دونالد ترامب حبال التوغل التركي في شرق الفرات، على متوالية تاريخية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى قصت بان يكون الأكراد الخاسرين دوما في لعبة الأمم داخل الشرق الأوسط. بيد أن المصير الذي ينتظر وحدات الحماية الكردية وقوات سوريا الديمقراطية بعد فشلها في انتخابات إسطنبول والمكلف ضد "تنظيم الدولة الإسلامية"، يبين أن "الحلف الإقليمي المقدس" ضد الأكراد يطمر من جديد الحلم الكردي ولو في حده الأدنى بإقامة إدارة ذاتية ضمن سوريا موحدة، وذلك بعد سنتين من إفشال استفتاء كردستان العراق.

**الحلف الإقليمي المقدس ضد الأكراد يطمر من جديد الحلم الكردي، ولو في حده الأدنى بإقامة إدارة ذاتية ضمن سوريا موحدة، وذلك بعد سنتين من إفشال استفتاء كردستان العراق**

هكذا يبدو أن واشنطن وموسكو تسلمان بغلبة الدول الإقليمية المؤثرة ويظهر جليا كسوف الدور الأوروبي في الشرق. يكرس هذا التخلي الدولي الدائمة الكردية لكنه لن يسمح باستقرار عالم عربي تتسابق إيران وتركيا وتكاملان على مذ مناطق نفوذهما فيه، بينما تتركس إسرائيل مكاسبها وتوسعها. وكل هذا ينذر لاحقا بمواجهات ومساومات على حساب المستقبل العربي والدول العربية وليس فقط على حساب الأكراد ضحايا الجغرافية السياسية بين الأتراك والإيرانيين والعرب.

**تصفية الحروب السورية**

بعد ثماني سنوات ونيف على اندلاع النزاع السوري، تدور مواجهات أو تصفيات الحروب السورية قبل الوصول إلى الوضع النهائي.

**#أردوغان يحول الحملة التركية إلى فتح إسلامي**